﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [المجادلة: 13]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

لمّا دلَّ ختمُ الآيةِ السّابقةِ على التَّخفيفِ، وكانَ قد يَدَّعي مُدَّعونَ عدمَ الوِجْدانِ كذبًا، فيحصلُ لهم حَرَجٌ، وكان تعالى شديدَ العنايةِ بنجاةِ هذه الأمَّةِ دلَّ سبحانَهُ على لُطْفِهِ بهم بنسخِهِ بعدَ فرضِهِ[1].

رَفْعُ الحَرَجِ عمَّنْ يُناجي النَّبيَّ ﷺ بنَسْخِ تقديمِ الصَّدقة

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾: (شفق) أصلٌ يدلُّ على رِقَّةٍ في الشَّيءِ[2]، ومِنْ ذلكَ يقالُ: أشفقتُ عليه فأنا مُشفِقٌ وشفيقٌ[3]، وأشفقتُ مِنَ الأمرِ؛ أي: حاذرتُ وخِفْتُ[4]، قال تعالى: ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنبياء: 49]، والشَّفَقُ مِنَ الثِّيابِ: الرَّقيقُ[5]، والشَّفَقُ: الحُمرةُ الَّتي تُرى في السَّماءِ عندَ غروبِ الشَّمسِ، وسُمِّيَتْ بذلكَ لِلَوْنِها ورِقَّتِها[6]، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾ [الانشقاق: 16]. والمرادُ هنا: أشَقَّ ذلك عليكم وخَشيتُم[7]؟ أو: أبَخِلتُم بالصَّدقةِ[8]؟.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التَّخفيفُ يَستوجِبُ الطّاعة

يقولُ تعالى ذكرُهُ للمؤمنينَ: أشَقَّ عليكم وخَشيتُم الفقرَ - أيُّها

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 383.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شفق).
(3) الجوهري، الصحاح: (شفق).
(4) السّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (شفق).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (شفق).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شفق).
(7) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 251.
(8) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 303.

المؤمنونَ - بأنْ تُقدِّموا بينَ يدَيْ نجواكم صدقاتٍ؟! فإذ لم تُقدِّموا بينَ يدَيْ نجواكم صدقاتٍ، ورزقَكم اللهُ التَّوبةَ، ورخَّص لكم في ألّا تفعلوهُ فواظِبوا على الصَّلاةِ والزَّكاةِ، وأطيعوا اللهَ ورسولَهُ فيما أُمِرْتم وفيما نُهيتم عنهُ، واللهُ خبيرٌ عليمٌ بأعمالِكم، وهو مُحصيها عليكم؛ ليُجازيَكم بها[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

تعيينُ المخاطَبِ بـ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾:

الخطابُ في قولِهِ تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ لطائفةٍ مِنَ المؤمنينَ قادرينَ على تقديمِ الصَّدقةِ قبلَ المناجاةِ، وشقَّ عليهم ذلكَ أو ثَقُلَ عليهم[2]. ويُحتمَلُ أنْ يكونَ الخطابُ للعمومِ، ومَنْ كانَ فقيرًا فإنَّه يَخافُ دوامَ الفقرِ[3].

دَوَرانُ الخِطابِ بينَ العُمومِ والخُصوص

بلاغةُ الاستفهامِ في ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾:

الاستفهامُ في قولِهِ ﷻ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ للتَّقريرِ[4]، وفيهِ توبيخٌ أيضًا ولومٌ لمَنْ تَرَكَ الصَّدقةَ معَ ما فيها مِنْ فوائدَ للفقراءِ[5].

مَنْ كانَ غنيًّا ولم يَتصدَّقْ قبلَ المُناجاةِ استَحَقَّ اللَّومَ والتَّوبيخ

دلالةُ ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ بينَ الإيجازِ وعَدَمِه:

يُحتمَلُ أنْ يكونَ مفعولُ ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ محذوفًا، والتَّقديرُ: أخِفْتُمُ الفقرَ مِنْ تقديمِ الصَّدقةِ؟! فيكون في الكلامِ إيجازٌ بالحذفِ.

ما كانَ يَنبغي أنْ يَمنَعَ خوفُ الفقرِ مِنْ تقديمِ الصَّدقةِ أمامَ النَّجْوى

ويُحتمَلُ أنْ يكونَ المفعولُ هو ﴿أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾، والمعنى: أخِفْتُمُ التَّقديمَ؟! وعلى هذا فلا حذفَ[6].

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 251، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 496.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 511، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 46.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 511.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 303، والشوكاني، فتح القدير: 5/ 227.
(5) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 383، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 46.
(6) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 171، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 225.

نكتةُ صيغةِ الماضي في ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾:

الإشفاقُ واقعٌ مِنَ المُخاطَبين

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾؛ لأنَّ التَّقريرَ هنا بفعلٍ قد وقعَ منهم ومضَى، وفي ذلكَ تسجيلٌ عليهم، ومزيدُ تأكيدٍ للَّومِ والتَّوبيخِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمصدرِ المُؤَوَّلِ ﴿أَن تُقَدِّمُواْ﴾:

خَوْفُ المُخاطَبينَ مِنِ استمرارِ وُجوبِ التَّصدُّقِ قبلَ المُناجاة

عُبِّرَ بالمصدرِ المؤوَّلِ في قولِهِ تعالى: ﴿أَن تُقَدِّمُواْ﴾؛ للدَّلالةِ بصيغةِ المضارعِ على أنَّ خوفَ المخاطَبينَ كانَ مِن استمرارِ هذا الحكمِ عليهم، وهو وجوبُ الصَّدقةِ قبلَ مُناجاةِ الرَّسولِ ﷺ[1]. وفي التَّعبيرِ بالمصدرِ المُؤَوَّلِ دلالةٌ على مُجرَّدِ معنى حَدَثِ تقديمِ الصَّدقةِ، مِن دونِ احتمالِ معنًى زائدٍ عليه من معاني الكلامِ المُحتمَلةِ كصفةِ التَّقديمِ وكيفيَّتِهِ[2].

سرُّ العُدولِ عنْ إفرادِ الصَّدقةِ إلى جَمْعِها:

المُخاطَبون جَمْعٌ يَخافونَ تقديمَ صدقاتٍ كثيرة

عُبِّرَ بالجمعِ دونَ الإفرادِ في قولِهِ تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾، مع أنَّ المفردَ أخفُّ وأخصرُ وأوفقُ لِما مرَّ مِنْ قولِهِ: ﴿صَدَقَةً﴾؛ لأنَّ المُخاطَبينَ جمعٌ[3]، أو للتَّفنُّنِ[4]، أو لأنَّ الخوفَ لم يكنْ في الحقيقةِ مِنْ تقديمِ صدقةٍ واحدةٍ؛ لأنَّهُ ليسَ مَظِنَّةَ الفقرِ، بل مِن استمرارِ الأمرِ وتقديمِ صدقاتٍ[5].

معنى الفاءِ في ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ﴾:

عدمُ التَّصدُّقِ مُسبَّبٌ عن الإشفاق

الفاءُ في قولِهِ تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ﴾ استئنافيَّةٌ؛ لتفريعِ ما بعدَها على الاستفهامِ التَّوبيخيِّ المتقدِّمِ[6]، فتفيدُ أنَّ عدمَ فعلِ التَّصدُّقِ مُسبَّبٌ عن الإشفاقِ[7].

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 49.
(2) ابن القيم، بدائع الفوائد: 1/ 92.
(3) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 5/ 195، والخفاجي، أنوار التّنزيل: 8/ 171.
(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 511.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 225.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 47.
(7) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 383.

دلالةُ (إذ) في ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ﴾:

تَـــدارُكُ تَـــرْكِ الـــتَّـــصـــدُّقِ بـــالأعـــمـــالِ الصّالحة

الظّاهرُ أنَّ (إذ) في قولِهِ تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ﴾ على بابِها مِنَ المضيِّ مع الظَّرفيَّةِ، وفيها معنى التَّعليلِ وتوكيدِ السَّببيَّة، وعاملُها الَّذي تتعلَّقُ بهِ محذوفٌ دلَّ عليهِ قولُهُ: ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾، والتَّقديرُ: خفَّفْنا عنكم وأعفَيْناكم مِنْ أنْ تُقدِّموا صدقةً قبلَ مُناجاةِ الرَّسولِ ﷺ إذ لم تفعلوا؛ أي: حينَ لم تفعلوا.

مَنْ تَرَكَ التَّصدُّقَ فـي المستقبلِ أطـــاعَ وعـمـلَ صالحًا

ويُحتمَلُ أنَّها بمعنى (إذا)، فتكونُ للاستقبالِ مع الشَّرطيَّةِ، فالمعنى: فإذا تركتُموهُ في المستقبلِ فأقيموا، والشَّرطُ هنا مقطوعٌ بهِ.

ويُحتمَلُ أنَّها بمعنى (إن) الشَّرطيَّةِ، فتكونُ أيضًا للاستقبالِ، والشَّرطُ هنا مشكوكٌ فيهِ[1].

سرُّ التَّعبيرِ بالفعلِ دونَ العَمَل:

تَـرْكُ التَّـصـدُّقِ لا يَـسـتـدعـي تكرارَهم له

عُبِّرَ بالفعلِ دونَ العملِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ﴾؛ لأنَّ الفعلَ يُستعمَلُ في إتيانِ الشَّيءِ مرَّةً واحدةً، والعملَ يُستعمَلُ في المواظبةِ على فعلِ الشَّيءِ، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الكهف: 107]، وعملُ الصّالحاتِ مستمرٌّ، وقال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١﴾ [الفيل: 1]، وقد وقَعَ مرَّةً واحدةً. والمرادُ هنا الكلامُ على تركِهم التَّصدُّقَ في الماضي، وذلكَ لا يَستدعي أنْ يكونَ التَّركُ متكرِّرًا.

بلاغةُ الإيجازِ في ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ﴾:

تَـرْكُ المخاطَبينَ ما أُمِروا بِهِ مِنَ التَّصدُّق

في قولِهِ تعالى: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ﴾ إيجازٌ بحذفِ المفعولِ؛ لدلالةِ السّياقِ عليهِ، والتَّقديرُ: فإذ لم تفعلوا ما أُمِرْتم بهِ مِنَ التَّصدُّقِ قبلَ مُناجاتِهِ ﷺ[2].

---

(1) السّمين الحلبي، الدّر المصون: 10/ 272 - 273، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 512، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 47.

(2) النّسفي، مدارك التّنزيل: 3/ 451، وأبو حيان، البحر المحيط: 10/ 129، والقاسمي، محاسن التّأويل: 9/ 175.

دلالةُ الواوِ في ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾:

سَعَةُ فضلِ اللهِ تعالى ورحمتِهِ بالمؤمنين

الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ اعتراضيَّةٌ، والجملةُ معترضةٌ بينَ ﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ وبينَ ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1]، أو الواوُ حاليَّةٌ، والمعنى: فإذ لم تفعلوا حالَ توبةِ اللّهِ عليكم، أو استئنافيَّةٌ[2]. وأيًّا ما كانَ ففيها ما لا يخفَى مِنَ التَّنبيهِ على رحمةِ اللّهِ تعالى بهم، وسَعَةِ فضلِهِ عليهم، حيثُ بادَرَهم بالتَّوبةِ مع تركِهم الامتثالَ.

نكتةُ التَّعبيرِ بالماضي في ﴿وَتَابَ﴾:

توبةُ اللهِ عليهم مُتَحَقِّقة

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ توبةَ اللّهِ تعالى عليهم أمرٌ قد تحقَّقَ ومضَى، وفي ذلكَ مزيدُ تنبيهٍ على فضلِ اللّهِ عليهم، ومزيدُ حثٍّ على ما سيأتي مِنَ الأمرِ بإقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ وطاعةِ اللّهِ ورسولِهِ.

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظِ التَّوبة:

التَّخفيفُ برَفْعِ الحُكمِ الَّذي شَقَّ عليهم

قولُهُ تعالى: ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ معناهُ: خفَّفَ عنكم، وأزالَ عنكم المُؤاخذةَ بتركِ تقديمِ الصَّدقةِ على المُناجاةِ مع قدرتِكم على ذلكَ، كما أزالَ المُؤاخذةَ بالذَّنبِ عن التَّائبِ عنهُ[3]. وفيهِ إشعارٌ بأنَّ إشفاقَهم ذنبٌ تجاوَزَ اللّهُ عنهُ؛ لِما رأى منهم مِنَ الانفعالِ ما قامَ مَقامَ توبتِهم[4].

بلاغةُ إيثارِ اسمِ الجلالةِ في ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ﴾:

مِنْ شأنِ العظيمِ تركُ عقابِ مَنْ يخالِفُه

عُبِّرَ باسمِ الجلالةِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾؛ لدلالتِهِ على صفاتِ العظمةِ والجلالِ والكمالِ، ومنها أنَّ مِنْ شأنِهِ أنْ يُعاقِبَ مَنْ تَرَكَ أمرَهُ[5]، ومِنْ شأنِهِ أيضًا أنْ يتركَ عقابَهُ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 47.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 24.
(3) النّسفي، مدارك التّنزيل: 3/ 451، والبقاعي، نظم الدّرر: 19/ 383.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 221.
(5) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 383.

معنى (على) في ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾:

توبةُ اللهِ على المؤمنينَ فَضْلٌ سابغٌ عليهم

(على) في قولِه ﷻ: ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ للاستعلاءِ المجازيِّ، وهي هنا تفيدُ أنَّ التَّوبةَ سابغةٌ عليهم، وكأنَّها مُستعليةٌ عليهم.

معنى الفاءِ في ﴿فَأَقِيمُواْ﴾:

مَنْ عُفيَ عنهُ وجَبَتْ خِدْمتُهُ لصاحبِ العفوِ والفَضْل

الفاءُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ للعطفِ، وهي تعطفُ هذهِ الجملةَ على الكلامِ المقدَّرِ الَّذي تتعلَّقُ بهِ (إذ)، والتَّقديرُ: خفَّفْنا عنكم وأعفَيْناكم مِنْ أنْ تُقدِّموا صدقةً قبلَ مناجاةِ الرَّسولِ ﷺ حينَ لم تتصدَّقوا، فحافِظوا على التَّكاليفِ الأُخرى فأقيموا الصَّلاةَ[1]، وفي هذا العطفِ تنبيهٌ على أنَّ العفوَ سببٌ لإقامةِ الصَّلاةِ وما عُطِفَ عليها[2]. ويجوزُ أنْ تكونَ الفاءُ رابطةً للمبالغةِ في توكيدِ السَّببيَّةِ؛ لشَبَهِ مضمونِ (إذ) بالشَّرطِ في التَّرتيبِ[3].

دلالةُ الأوامرِ في جُملةِ ﴿فَأَقِيمُواْ﴾:

المؤمنُ يُثابِرُ على الطّاعةِ والأعمالِ الصّالحة

أفعالُ الأمرِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ لإفادةِ الدَّوامِ والمُثابرةِ على هذهِ الأعمالِ، بدليلِ أنَّ الصَّلاةَ والزَّكاةَ وطاعةَ اللهِ ورسولِهِ سابقةٌ على الأمرِ بالتَّصدُّقِ قبلَ المناجاةِ، والمعنى: دوموا على هذهِ الأعمالِ الَّتي هي قواعدُ شرعِكم[4].

وحكمةُ الأمرِ بهذهِ الأوامرِ: أنَّ الصَّلاةَ طُهْرةٌ لأرواحِهم، ووُصْلةٌ لهم بربِّهم، والزَّكاةَ نزاهةٌ لأبدانِهم، وتطهيرٌ ونَماءٌ لأموالِهم، وصلةٌ بإخوانِهم، فالصَّلاةُ نورٌ، تهدي إلى المقاصدِ الدُّنيويَّةِ والأخرويَّةِ، وتُعينُ على نوائبِ الدّارين، والصَّدقةُ برهانٌ على صحَّةِ القصدِ في

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 47.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 384.
(3) قباوة، المفصل في شرح الجلالين، ص: 1926.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 280، والشوكاني، فتح القدير: 5/ 227، والمراغي، تفسير المراغي: 28/ 20.

الصَّلاةِ[1]، وطاعةُ اللهِ ورسولِهِ هي سرُّ الفلاحِ والنَّجاحِ في الدُّنيا والآخرةِ. ومِنَ الحكمِ أيضًا: ألّاَ يَظُنّوا أنَّهم كلَّما ثَقُلَ عليهم فعلٌ مِمّا كُلِّفوا بهِ يُعفَون مِنهُ[2].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالإقامةِ:

المُصلّي الكاملُ هو مَنْ يواظِبُ على صلاتِهِ على أكملِ صورة

عُبِّرَ بالإقامةِ في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ولم يُقَلْ: (فصلّوا)؛ لأنَّ معنى إقامةِ الصَّلاةِ: توفيةُ حدودِها وحقوقِها وإدامتُها، وفي ذلكَ تنبيهٌ على أنَّهُ لم يُرَدْ إيقاعُها فقطْ[3]، بل المواظبةُ عليها على أكملِ صورةٍ[4].

غَرَضُ تعريفِ ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾:

الصَّلواتُ المفروضةُ أوَّلُ ما يَجِبُ العنايةُ بكمالِهِ مِنَ الصَّلوات

تعريفُ ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ للعهدِ؛ إذ المرادُ بها الصَّلواتُ المفروضةُ، فهي الَّتي يجبُ الإتيانُ بها على الوجهِ الكاملِ في المَقامِ الأوَّلِ، وإنْ كانَ المؤمنُ يُراعي في كلِّ صلاةٍ يُؤدّيها – سواءٌ كانَتْ مفروضةً أم نافلةً – أنْ يأتيَ بها على وجهِ الكمالِ.

نكتةُ عطفِ ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾:

المُؤمِنُ يُطيعُ اللهَ تعالى بِبَدَنِهِ ومالِهِ

قولُهُ تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ معطوفٌ على قولِهِ: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ونكتةُ هذا العطفِ الأمرُ بأمِّ العباداتِ الماليَّةِ بعدَ الأمرِ بأمِّ العباداتِ البدنيَّةِ؛ ليستمرَّ المخاطَبونَ على هاتينِ العبادتينِ العظيمتينِ.

غرضُ تقديمِ إقامةِ الصَّلاةِ على إيتاءِ الزَّكاةِ:

شأنُ الصَّلاةِ عظيمٌ في الإسلام

قُدِّمتِ الصَّلاةُ على الزَّكاةِ في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ جريًا على عادةِ القرآنِ الكريمِ في هذا التَّقديمِ؛ لأنَّ الصَّلاةَ هي الرُّكنُ الأعظمُ في الإسلامِ بعدَ الشَّهادتينِ، وهي فرضٌ على كلِّ مسلمٍ بالغٍ عاقلٍ، وأمّا الزَّكاةُ فمِنْ جملةِ شرائطِها

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 384.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 47.
(3) الطّيبي، فتوح الغيب: 15/ 292.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 14/ 225، والمراغي، تفسير المراغي: 28/ 20.

مِلْكُ النِّصابِ، فلا تجبُ على كلِّ المسلمينَ، بل على الأغنياءِ فقطْ. فضلًا عن كونِ الصَّلاةِ مُصاحِبةً للمسلم في يومِهِ في أوقاتٍ معلومةٍ مُحدَّدةٍ، والتَّقديمُ أدْعى للحثِّ على إقامتِها مَخافةَ الفُتورِ أو السَّآمة، أمّا الزَّكاةُ فهي واجبةٌ في العام مرَّةً واحدةً على مَن ملَكَ النِّصاب.

سرُّ التَّعبيرِ بالإيتاءِ دونَ غيرِهِ:

المؤمنونَ مكلَّفونَ بإعطاءِ الزَّكاةِ على وجهٍ مقبولٍ

عُبِّرَ بالإيتاءِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، ولم يُقَلْ: (وزكّوا) مع أنَّهُ أخصرُ؛ لأنَّ المرادَ الأمرُ برعايةِ حقوقِ الزَّكاةِ، لا بأصلِ الفعلِ فقطْ، وذلكَ أنَّ الإيتاءَ وإنْ كانَ معناهُ لغةً الإعطاءَ إلّا أنَّهُ خُصَّ في القرآنِ بدفعِ الصَّدقةِ، فهو الإعطاءُ على وجهٍ مقبولٍ[1].

غرضُ تعريفِ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾:

المؤمنونَ يُؤتونَ الزَّكاةَ المفروضةَ شرعًا

تعريفُ الزَّكاةِ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ للعهدِ؛ لأنَّ المرادَ بها الزَّكاةُ المفروضةُ شرعًا، المعلومةُ نصابًا، المُحدَّدةُ ميقاتًا.

نكتةُ عطفِ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾:

وُجوبُ مُراعاةِ سائرِ الطّاعات

لمّا خصَّ ﷺ أشرفَ العباداتِ البَدَنيَّةِ - وهي الصَّلاةُ - وأعلى المَناسِكِ الماليَّةِ - وهي الزَّكاةُ - عمَّمَ فقالَ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾[2]، والمعنى: فلا تُفرِّطوا في الصَّلاةِ والزَّكاةِ وسائرِ الطّاعاتِ[3]، فالعطفُ مِنْ قبيلِ عطفِ العامِّ على الخاصِّ؛ لأنَّ إقامةَ الصَّلاةِ وإيتاءَ الزَّكاةِ داخلانِ في طاعةِ اللّهِ ورسولِهِ، وفي ذلكَ تأكيدٌ للأمرينِ السّابقينِ بذكرِهما خصوصًا وعمومًا، وتنبيهٌ على وجوبِ مُراعاةِ سائرِ الطّاعاتِ.

نكتةُ حذفِ مُتعلَّقِ الإطاعةِ:

طاعةُ اللهِ في سائرِ الأوامِرِ

حُذِفَ مُتعلَّقُ الإطاعةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾؛

(1) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 172.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 384.
(3) الزّمخشري، الكشاف: 4/ 494، والنيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 6/ 276.

للدَّلالةِ على العمومِ في المُطاعِ فيهِ؛ أي: وأطيعوا اللَّهَ ورسولَهُ في سائرِ الأوامرِ، ومِنها ما تقدَّمَ[1].

بلاغةُ إظهارِ اسمِ الجلالةِ في موضعِ إضمارِهِ:

أُظهِرَ اسمُ الجلالةِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾؛ للدَّلالةِ على صفاتِ العظمةِ والكمالِ والجلالِ الَّتي بها يَستَحِقُّ سبحانَهُ الطّاعةَ على عبادِهِ[2].

وُجوبُ طاعةِ مَنْ لهُ صفاتُ العظمةِ والكمال

بلاغةُ عطفِ الرَّسولِ على اسمِ الجلالة:

عَطْفُ الرَّسولِ على اسمِ الجلالةِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ - مع أنَّ طاعةَ اللَّهِ تَستَلزِمُ طاعتَهُ - للإيماءِ إلى أهمِّيَّةِ طاعةِ النَّبيِّ ﷺ، وأنَّها عندَ اللَّهِ تعالى بمكانٍ، وأنَّهُ لا يَنبغي التَّساهُلُ فيها.

طاعةُ الرَّسولِ لا يَنبغي التَّساهُلُ فيها

نكتةُ الإضافةِ في ﴿وَرَسُولَهُۥٓ﴾:

إضافةُ الرَّسولِ إلى ضميرِ اسمِ الجلالةِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَرَسُولَهُۥٓ﴾؛ لتكريمِ النَّبيِّ ﷺ وتشريفِهِ، وبيانِ أنَّ عَظَمتَهُ مِنْ عَظَمةِ اللَّهِ تعالى الَّذي أرسلَهُ[3].

عَظَمةُ الرَّسولِ مِنْ عَظَمةِ المُرسِل

دلالةُ الواوِ في جُملةِ الفاصِلة:

الظّاهرُ أنَّ الواوَ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ استئنافيَّةٌ، والجملةُ مستأنفةٌ تذييليَّةٌ لقولِهِ: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾؛ لأنَّ ما في هذهِ الجملةِ مِنَ الوعيدِ يحثُّ على الامتثالِ للأوامرِ السّابقةِ[4].

استِشعارُ مُراقَبةِ اللهِ تعالى دافعٌ للامتِثال

ويُحتمَلُ أنْ تكونَ الواوُ للعطفِ على مقدَّرٍ في السّياقِ؛ أي: فاللَّهُ يحبُّ الَّذينَ يُطيعونَ واللَّهُ خبيرٌ بما تعملونَ[5].

(1) البيضاوي، أنوار التّنزيل: 5/ 195، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 226.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 384.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 385.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 47.
(5) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 385.

براعةُ الكنايةِ في جُملةِ الفاصِلة:

مَنْ فَرَّطَ في طاعةِ اللهِ فهو على خَطَرٍ عظيم

قولُهُ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ كنايةٌ عن التَّحذيرِ مِنَ التَّفريطِ في طاعةِ اللهِ ورسولِهِ[1]، وليسَ مجرَّدَ إخبارٍ عن كونِهِ تعالى خبيرًا بما يعملونَ، فهم يعلمونَ ذلكَ مِنْ قبلُ، وقد جَرَتْ عادةُ القرآنِ في كثيرٍ مِنَ المواضعِ بتعقيبِ الأوامرِ والنَّواهي بالتَّحذيرِ مِنْ عدمِ الالتزامِ بها.

نكتةُ التَّعبيرِ بالاسميَّةِ في جُملةِ الفاصِلة:

عِلْمُ اللهِ تعالى بما يَعمَلُهُ عبادُهُ حقيقةٌ ثابتة

عُبِّرَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ كونَهُ تعالى خبيرًا بما يعملونَ حقيقةٌ ثابتةٌ، لا تتغيَّرُ ولا تتبدَّلُ، وفي ذلكَ مزيدُ وعيدٍ وتهديدٍ.

سرُّ تكرارِ اسمِ الجلالةِ:

وَعيدُ العظيمِ لا يُقادَرُ قَدْرُه

كُرِّرَ اسمُ الجلالةِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾؛ لدلالتِهِ على صفاتِ العظمةِ والجلالِ والكمالِ، ومنها إحاطتُهُ بكلِّ شيءٍ قدرةً وعلمًا[2]، فيكونُ أنسبَ بمقامِ التَّهديدِ والوعيدِ.

بلاغةُ إيثارِ التَّعبيرِ بالخبيرِ على غيرِه:

اللهُ تعالى مُطَّلِعٌ على ما في القُلوب

أوثِرَ الخبيرُ على غيرِهِ كالعليمِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾؛ للتَّنبيهِ على إحاطتِهِ ﷻ بالأعمالِ والنِّيّاتِ ظاهرًا وباطنًا[3]؛ لأنَّ الخبرةَ هي العلمُ ببواطنِ الشَّيءِ، ويَلزَمُهُ العلمُ بظاهرِهِ بالطَّريقِ الأولى[4]. ومِنْ وجوهِ مُلاءَمةِ الخبيرِ للسّياقِ أنَّ أوَّلَ الآيةِ وبَّخَ على أمرٍ باطنٍ[5]، وهو إشفاقُهم مِنْ تقديمِ الصَّدقاتِ.

نكتةُ صيغةِ (فَعيلٍ) في ﴿خَبِيرٌۢ﴾:

اتِّصافُهُ تعالى ببَواطِنِ الأشياءِ وظَواهِرِها اتِّصافًا بليغًا

جيءَ بصيغةِ (فَعيلٍ) في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا

(1) النّسفي، مدارك التّنزيل: 3/ 451، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 47.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 385.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 497، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 221.
(4) ابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 512.
(5) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 385.

تَعْمَلُونَ﴾؛ للمبالغةِ في اتِّصافِهِ تعالى بالعلمِ ببواطنِ الأشياءِ وظواهرِها، وفي ذلكَ تحريكٌ للرَّهبةِ في نفوسِ المخاطَبينَ.

معنى الباءِ في ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

أعمالُ المخاطَبينَ مُتعلَّقُ عِلْمِ اللهِ ﷻ

الباءُ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ للتَّعديةِ، فتفيدُ أنَّ أعمالَ المخاطَبينَ مُتعلَّقُ عِلْمِ اللهِ ﷻ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالموصولِ في ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾:

لا يخفَى على اللهِ تعالى شيءٌ

عُبِّرَ بالموصولِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ للتَّنبيهِ على العمومِ، والمعنى: واللهُ خبيرٌ بكلِّ الَّذي تعملونه، لا يخفَى عليهِ مِنْ ذلكَ شيءٌ[1]. ويجوزُ أن تكونَ (ما) مصدريَّةً على تقديرِ: واللهُ خبيرٌ بعَمَلِكم.

نكتةُ صيغةِ المضارعِ في ﴿تَعْمَلُونَ﴾:

قليلُ العملِ وكثيرُهُ في مَوازينِ عِلْمِهِ تعالى سواءٌ

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على تجدُّدِ العملِ؛ أي: واللهُ خبيرٌ بما تُجدِّدونَ عَمَلَهُ، يَعلَمُ بواطنَهُ كما يَعلَمُ ظواهرَهُ[2]، وفي ذلكَ ما لا يخفَى مِنَ التَّنبيهِ على اقتدارِهِ سبحانَهُ وسَعَةِ علمِهِ؛ إذ لا تَكثُرُ عليهِ الأعمالُ، ولا تَختلِطُ عليهِ الشُّؤونُ، بل قليلُ العملِ وكثيرُهُ في مَوازينِ علمِهِ سواءٌ.

سرُّ التَّعبيرِ بالعملِ دونَ الفعلِ:

لا يَخفى على اللهِ شيءٌ وإنْ تَكَرَّر

عُبِّرَ بالعملِ دونَ الفعلِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ لأنَّ العملَ يدلُّ على المواظبةِ والتَّكرارِ، وذلكَ أوفقُ بمَقامِ التَّنبيهِ على سَعَةِ علمِهِ تعالى كما تقدَّمَ في نكتةِ التَّعبيرِ بالمضارعِ، فيكونُ ﴿تَعْمَلُونَ﴾ قد أفادَ المبالغةَ بمادَّتِهِ وصيغتِهِ.

(1) الشّوكاني، فتح القدير: 5/ 227.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 385.

توجيهُ المُتشابِهِ بينَ فَواصِلِ الآياتِ الثَّلاثِ:

مُناسَبةُ النَّظْمِ القُرآنيِّ لِمُقتضَى الحالِ ومُختلِفِ الأعمال

وَرَدَتْ فاصلةُ هذه الآيةِ هنا: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾، بينَما ورَدَتْ في الآيةِ الثّالثةِ مِن هذه السّورةِ والآيةِ الحاديةَ عشرةَ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ١١﴾.

وتوجيهُ ذلك: أنَّ النَّظمَ القرآنيَّ يَتَناسبُ مع أحوالِ العبادِ وأعمالِهم، فإنْ كان يَتَحدَّثُ عن أعمالِ الإنسانِ الظّاهرةِ ناسَبَهُ تقديمُ الأعمالِ على الوصف (خبير)، وإنْ كان يَتَحدَّثُ عن الأمورِ القلبيَّةِ الَّتي لا يَعلَمُها إلّا اللّهُ تعالى ناسَبَهُ تقديمُ الوصفِ (خبير) على الأعمال؛ اهتمامًا واعتِناءً في كلِّ موضعٍ بما يكونُ الحديثُ لأجْلِهِ.

وفي الآيةِ الثّالثة ورَدَ الكلامُ على كفّارة الظِّهار وعدم قُربانِ الزَّوجِ أهلَهُ قبلَ التَّكفيرِ، وهو عملٌ ظاهرٌ محسوسٌ، وفي الآيةِ الحاديةَ عشرةَ كان الكلامُ على الفَسْحِ والنُّشوزِ في المجالسِ، وهو كذلك عملٌ ظاهرٌ محسوسٌ، فناسَبَهُ تقديمُ قولِهِ: ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ على الوصف ﴿خَبِيرٌ ١١﴾، فجاءت الفاصلة: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ١١﴾.

أمّا هنا فالكلامُ على إشفاقِ المؤمنين القلبيِّ مِن تقديم الصَّدقةِ لمُناجاةِ رسول الله ﷺ، وهو أمرٌ قلبيٌّ غَيْبيٌّ، كاشَفَهم اللّهُ سبحانه به فقال: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ الآية، ويُناسِبُهُ تقديمُ الوصف ﴿خَبِيرُۢ﴾ على قوله: ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾، فجاءت الفاصلةُ: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإشفاقُ والخوفُ والخشيةُ والرَّهبةُ:

المُناجي التّارِكُ للتَّصدُّقِ يَخافُ ويَتَوقَّعُ حُصولَ الفقر

الإشفاقُ والخشيةُ أخصُّ مِنْ مُطلَقِ الخوفِ؛ فالإشفاقُ هو الخوفُ مِنَ المكروهِ[1]، وتوقُّعُ حصولِ ما لا يَبتَغيهِ[2]، والإشفاقُ نوعٌ مِنَ الرِّقَّةِ

(1) الشّوكاني، فتح القدير: 5/ 227.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 46.

وضعفِ القلبِ[1]. والخشيةُ: خوفٌ يَشوبُهُ تعظيمٌ، وأكثرُ ما يكونُ ذلكَ عن علمٍ بما يُخشَى منهُ[2]. والرَّهبةُ: طولُ الخوفِ واستمرارُهُ[3].

وقد عُبِّرَ بالإشفاقِ هنا؛ لأنَّ تاركَ التَّصدُّقِ قبلَ المُناجاةِ يَخافُ مِنَ الفقرِ الَّذي هو أمرٌ لا يَبتَغيهِ.

(1) العسكري، الفروق، ص: 241.
(2) الرّاغب، المفردات: (خشي).
(3) العسكري، الفروق، ص: 241.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الستون،
سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 60 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-66-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 60 : المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-66-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5294607 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"